الفصل السادس

جمال الدين الأفغانى
(التفكير الاصلاحى)

١ – حياته
٢ – أهم كتبه ومؤلفاته
٣ – دعوته الدينية
٤ – دعوته وفكره الفلسفى
٥ – ملاحظات نقدية
٦ – فكر جمال الدين الأفغانى
٧ – أهداف الأفغانى
٨ – دعوته السياسية

جمال الدين الأفغانى G . ALafghani
(١٨٣٨ – ١٨٩٧م)

١ - حياته ومؤلفاته:

تعددت الآراء حول تسأة جمال الدين الأفغانى، فهناك فريق يرى أنه إيرانى الأصل أفغانى النشأة، وهناك فريق آخر يرى أنه أفغانى الأصل والنشأة.

أما أصحاب الرأى الأول وهم الشيعة فى إيران والعراق فيقولون أنه ولد فى قرية «أسد أباد» بإيران. وعلى ذلك فمذهبه شيعى. ويقدم أصحاب هذا الرأى بعض الروايات التى تؤكد وجهة نظرهم ومنها أنه توجد مدرسة اسمها المدرسة «الجمالية» فى قرية «أسد أباد» التى ولد فيها الأفغانى، وأن له فى هذه القرية أقارب. ومنها أيضا أنه كان يحمل جواز سفر إيرانى. وله كذلك بعض الوثائق والمذكرات التى كتبها باللغة الفارسية.

ولكن بالرغم من ذلك فأن أصحاب الرأى الثانى يقولون إن هذه الروايات لا تنهض دليلا قويا على أصله الأيرانى. فنسبة المدرسة اليه قد لا يكون أكثر من مجرد تكريم لزعيم دينى أوقف جهده وعلمه للإسلام، أما عن وجود الأقارب فى إيران فيرجعونه إلى صلة الجوار بين إيران وأفغانستان وانتقال الأسر إلى كل من البلدين بحكم هذا الجوار. أما عن جواز السفر الإيرانى فقد يكون راجعا إلى أن جمال الدين كان زعيما إسلاميا تخدمه وتقدره كل الدول الإسلامية.

أمـا أصحـاب الرأى الثانى وهم أهل السـنة، فيقولـون أنه أفغانى الأصل والنشـأة: سنى المذهب. وكان دليلهم على ذلك رأى تلاميذه فيه وما كتبوه عن نشـأته وأصله وخاصة تلميـذه الوفى الأمام محمد عبده. وكذلك ما كتبه هو عن نفسه فى كتابه «خاطرات جمال الدين».

وعلى كل حال نجد أن معظم المؤرخين لسـيرة جمال الدين يرجعون أصلـه إلى الأفغـان. وعلـى ذلك فهو ولـد عام ١٨٣٨م فى قرية «أسـد أباد» بالقرب من «كند» من أعمال «كابول» عاصمة أفغانسـتان. ويرجع المؤرخون نسبه إلى «الحسين بن على بن أبى طالب» حفيد الرسول ولذلك يسمى أحيانا بأسم «جمال الدين الحسينى الأفغانى» وعلى ذلك فأسرته لها منزلة شريفة ومكانة اجتماعية وسياسية بارزة حيث كان لها السيادة على جزء من أفغانستان تستقل فيه بالحكم.

انتقـل به والده إلى «كابول» العاصمة وعمره أنذاك حوالى الثامنة فقام على تربيته وتعليمه فدرس علوم اللغة العربية وعلوم الشـريعة والتصوف والتاريخ كما كان له ميول نحو الفنون العسكرية. ولم يكتف جمال الدين بهـذه العلوم. ولكنه أراد التزود بقدر أكبر من المعرفة فغادر أفغانسـتان إلى الهنـد حيث أقام بها حوالى سـنة وبضعة شـهور يتجول فى مدنها ويتـزود بالمعرفة والثقافة. ثم بعد ذلك سـافر من الهند إلى بلاد الحجاز حيـث وصل مكة المكرمة فى عام ١٨٥٧م وعمره أنذاك حوالى التاسـعة عشـرة. وقد أدى فريضـة الحج، كما التقى ببعض زعماء الإسـلام فى ذلـك الوقت أمثال «محمد بن عبد الوهاب» صاحـب الدعوة الوهابية، و«محمد بن السنوسـى» ومن خلال رؤيته لتجمع المسـلمين فى موسـم

الحج نبتت لديه فكرة إنشاء «الجامعة الإسلامية» التى أخذ يدعو إليها جمال الدين الأفغانى بعد ذلك بوقت متأخر وبعد أن أدى فريضة الحج عاد إلى وطنه أفغانستان حيث اشترك فى الحرب الداخلية على السلطة والحكم إلى جانب «الأمير محمد أعظم» وكان عمره فى ذلك الوقت السابعة والعشرين. وبعد انتصار «محمد أعظم» وإستيلائه على السلطة والحكم عين جمال الدين كبير وزرائه ولكن الاستعمار الإنجليزى قام بتدبير المؤامرات ضد «محمد أعظم» الذى ترك الحكم تجنبا لأراقة الدماء وهاجر إلى مدينة «نيسابور» حيث مات بعد عدة شهور. وخلال هذه الفترة تكونت آراء جمال الدين السياسية وكراهيته للإنجليز والاستعمار بصفة عامة فقام يحث الشعب الأفغانى ضد الإنجليز وبث فيه روح الوطنية والحرية.

ولم تعجب أعمال جمال الدين «الأمير شير على» الذى تولى الحكم بعد «محمد أعظم» وكذلك لم تعجب أعماله المستعمر الإنجليزى.

ولما أحس جمال الدين بما يكنه له الأمير والإنجليز من كراهية استأذن فى السفر إلى الحج، فإذن له الأمير بشرط ألا يمر بأيران، فسافر إلى الهند حيث رحب به المسلمون فيها وأخذ يحثهم فى أحاديثه على محاربة الأستعمار الأنجليزى حتى ينالوا استقلالهم. ولكن الحكومة الإنجليزية فى الهند أمرته بمغادرة الهند فسافر منها إلى مصر وكان ذلك فى أوائل عام ١٨٧٠م ولم يمكث فى مصر سوى أربعين يوما غادرها إلى تركيا تلبية لدعوة السلطان التركى. وفى تركيا قام بإلقاء بعض الدروس العلمية ثم تحول إلى الأحاديث السياسية التى كان يلقيها على عدد كبير من الشباب الذين تأثروا بمبادئه الحرة وآرائه السياسية.

ولكنه ترك تركيا وعاد ثانية إلى مصر فى أول مارس عام ١٨٧١م حيث استقر به المقام فيها وكان عمره أنذاك حوالى الثانية والثلاثين. وقد بقى فى مصر هذه المرة حوالى ثمانى سنوات التقى فيها بكثير من رجالها وشبابها وألقى فيهم الدروس المختلفة، فنضجت أفكاره السياسية، وتبلورت آراؤه الإصلاحية وكانت هذه السنوات من أعظم السنوات فى حياته وحياة مصر. بل وحياة العالم الإسلامى كله.

ونظرا لتأثيره الكبير فى مصر والمصريين أصدرت الحكومة أثناء حكم الخديو توفيق أمرا بأبعاده عن مصر بحجة أنه يرأس جمعية سرية من الشبان، وكان ذلك فى شهر أغسطس فشلت ودخل الإنجليز مصر فى عام ١٨٨٢م وقد شعر الإنجليز بخطر وجود جمال الدين فى الهند فأحاطوه أولا بالجواسيس ثم آمروه بمغادرة الهند، فغادرها إلى لندن.

وقد كتب وهو فى طريقه إلى لندن من ميناء بورسعيد رسالة إلى تلميذه الشيخ محمد عبده يخبره بذهابه إلى لندن، ولكنه لم يقم فيها إلا قليلا حيث غادرها إلى باريس، وظل بها حوالى ثلاث سنوات. التقى خلالها بالشيخ محمد عبده حيث كونا سويا «جمعية العروة الوثقى» وأصدرا معا جريدة «العروة الوثقى» التى هاجما فيها الاستعمار الإنجليزى وحثا الدول الإسلامية كلها إلى محاربة الاستعمار الإنجليزى.

وفى باريس ذاع صيت جمال الدين فى أوربا وفى العالم الإسلامى وانتشرت دعوته الدينية وخاصة انشاء الجامعة الإسلامية، ونضجت آراؤه السياسية. وأخذ ينتقل بين بعض البلدان، حتى أنتهى به المقام فى مدينة الأسيتانة بتركيا حتى مرض بالسرطان وتوفى فى صبيحة يوم ٩ مارس عام ١٨٩٧م.

وقد ظل جثمان جمال الدين الأفغانى مدفونا فى مدفنه مجهولا حوالى ثلاثين سنة حتى أكتشف مقبرته المستشرق الأمريكى «كراين» عام ١٩٢٦م فقام «كراين» ببناء مقبرة من الرخام فوق قبره، وفى عام ١٩٤٤م نقل رفات جمال الدين الأفغانى إلى وطنه الأصلى بلاد أفغانستان. وهكذا أنتهت حياة رجل عظيم من عظماء الدين الإسلامى، وكان لآرائه وتعاليمه الأصلاحية أثر كبير فى تخليص الدين من شوائب ونهضة العالم الإسلامى.

ومن الجدير بالذكر هنا أن نشير إلى بعض تلاميذه الذين تأثروا به ونقلوا عنه وأكملوا رسالته وأهمهم: محمد عبده، يعقوب بن صنوع، عبدالله النديم، محمد رشيد رضا، محمد إقبال.

٢ - أهم كتبه ومؤلفاته:

أما عن مؤلفاته فيمكن القول أنه لم يترك كثيرا من الكتب والمؤلفات، ويرجع ذلك إلى قلة الوقت الذى يساعده على التأليف. وأهم مؤلفاته هى:

أ – **الرد على الدهريين:** كتبها باللغة الفارسية ثم ترجمها إلى العربية الشيخ محمد عبده بمساعدة «عارف بن تراب» تابع جمال الدين.

ب – **تتمة البيان فى تاريخ الأفغان:** وقد وصف فيه تاريخ بلاد الأفغان وحالتها السياسية والأقتصادية والاجتماعية، وقد اهتمت الصحف الإنجليزية بهذا الكتاب.

ويقال إن جمال الدين الأفغانى كتب كتابا عن «الخلافة» أثناء وجوده فى الهند فى المرة الثالثة صادرته السلطات الإنجليزية.

كذلك نشـر جمال الدين الأفغانى مجموعة من المقالات فى الصحف المصريـة، وفى صحيفة العـروة الوثقى التى أصدرها فـى باريس وكان يحررها هو وتلميذه الشيخ محمد عبده.

وقد جمع أحد الناشـرين فى بيروت مقالاته التى نشرها فى صحيفة العروة الوثقى فى كتاب واحد.

٣ - فكر جمال الدين الأفغانى:

أن ظهـور الشـخصيات العظيمـة فى التاريـخ يرتبـط بالنهضات الاجتماعية التى لها تأثير حاسـم فى توجيـه الحياة، ومن نافلة القول وتكراره أن أى مفكر أو فيلسـوف يتأثر إلى حد كبير فى فكره وفلسـفته بالظروف التى تحيط به، وبالبيئة التى نشـأ فيها، وهكذا جاء السـيد جمال الدين الأفغانى فى وقت كانت بلاد الشرق تعيش فى جهل وتفرق واسـتبداد مـن المسـتعمرين، ولكنها برغم ذلك تتطلـع إلى من ينير لها الطريق ويأخذ بيدها إلى آفاق العلم والوحدة والحرية.

كذلك يمكن القول أن الأفغانى يصدق عليه قول القائل أن الله يرسل إلى الأمة الإسلامية كل مائة عام من يوقظها ويزيل عنها شوائب الجهالة والأنحراف بالدين الإسلامى، لقد كان الأفغانى بحق شمعة جاءت تضئ ظلام بلاد الشـرق لتوقظها وتقودها إلى آفـاق وتطلعات الحرية والوحدة والدين الصحيح.

٤ - دعوته الدينية:

كان الأفغانى حسب رأى كثير من المؤرخين سنى المذهب يعتنق على الخصوص المذهب الحنفى. وهو إن لم يكن فى عقيدته مقلدا، إلا إنه لم

يترك السنة الصحيحة مع ميل إلى مذهب الصوفية، وكانت له مثابرة وجلد على أداء فرائض الدين طبقا لمذهبه الحنفى، كما كان يشتعل حماسا وغيرة على دينه الإسلامى وخاصة لما رأى فيه من تحريف وجهالة وسوء فهم لتعاليمه دخلت عليه حسب أهواء الحكام والخلفاء المسلمين لكى يصلوا عن طريق ذلك إلى كراسى الحكم وسدة السلطة أو ليمتد بهم زمن الحكم، ويورثونه لأبنائهم وأحفادهم من بعدهم عن طريق البيعة، لذلك كان هدف السيد جمال الدين أن يعمل على تحرير عقول المسلمين من القيود التى قيدت بها طوال السنوات الماضية، وأن يقيم الحجة والبرهان على أن الدين ليس شيئا ميتا، ولكنه نظام يصلح للأنسانية المتطورة فى كل وقت ومكان، ذلك أن الدين يقبل التطور، وباب الاجتهاد فيه مفتوح على مصراعيه لكل غيور على دينه، ولكل مجتهد لحماية الدين.

ولقد كانت دعوة جمال الدين الأفغانى الدينية تهدف إلى:-

أ - توحيد كلمة الإسلام وجمع شمل المسلمين فى سائر أقطار العالم بعد أن رأى بنفسه ضعفهم وتفرقهم وسيطرة المستعمر عليهم، وقد آلمه أن يرى الأمم الإسلامية وقد ضعف أمرها وحيلتها ووهنت قواها، وكان يعتقد أنها لو استطاعت أن تنفض عن نفسها كابوس الاحتلال الأجنبى، وتحررت من تدخل الدول الأجنبية فى شئونها وصلح حال المسلمين وتوافق مع مقتضيات الحياة فى العصر الحاضر، لأصبح المسلمون قادرين على تدبير أمورهم بأنفسهم تدبيرا حسنا دون الأعتماد على الأمم الأجنبية. وما أصلح دعوته هذه مع حال

المسلمين الآن برغم بعد الزمن منذ أطلقه جمال الدين الأفغانى دعوته لأصلاح حال المسلمين.

ب – كذلك كان جمال الدين الأفغانى يرى أن الإسلام فى جميع مسائله الجوهرية هو دين عام للعالم أجمع، صالح لكل زمان ومكان، قادر بما فيه من قوة روحية على ملائمة الظروف المتغيرة فى كل جيل وفيه الحل لكل مشاكل الإنسانية التى انغمست فى الماديات. وهذا ما اكتشفه مؤخرا الفيلسوف الفرنسى «روجيه جارودى» بعد دراسته المتعمقة للدين الإسلامى والذى أعلن إسلامه بعدها.

جـ – تحقيق المساواة والأخاء بين البشر، لا فضل لعربى على عجمى إلا بالتقوى، ولا لأبيض على أسود إلا بالعمل. كما كانت دعوته ضد التفرقة الدينية والتمييز العنصرى.

د – كان الأفغانى يرى طبقا لهذا أن الأديان الثلاثة اليهودية والمسيحية والإسلامية على تمام الأتفاق فى المبدأ والغاية. وتمنى لو اتحد أهل هذه الأديان مثلما اتحدت هى فى جوهرها وهدفها وخاصة أنها منزلة من عند الله واحد. وهذا ما تقوم به مجموعة «الحوار بين الأديان» فى الوقت الحاضر، لعلها تحقق فى يوم ما آراده الأفغانى.

هـ – حاول جمال الدين التوفيق بين أهل السنة وأهل الشيعة، على أساس من التسامح الدينى، وكان يرى أن خلافهم لا محل له، بل إنه يقوض دعائم الإسلام ويشوه صورته، لذلك دعاهم إلى نبذ الخلاف والتحلى بالألفة والوحدة لأن فى ذلك قوة للدين أمام اعدائه والمتربصين به لهدمه.

وقد قام الأفغانى بدراسة الدين الإسلامى دراسة عميقة وانتهت دراسته إلى أن قسم الدين قسمين:

* **قسم العبادات:** يرى أن الإنسان يؤديه لربه بمعزل عن كل أحد غيره.
* **وقسم معاملات:** ويرى أنها شرع بين العموم، تدعو أبناء الطوائف كلها إلى فعل الخير لهم ولوطنهم. ومن هنا جاءت فكرته أو حلمه فى توحيد الأديان.

وكما دعى الأفغانى إلى التوفيق بين أهل السنة وأهل الشيعة، كذلك دعا إلى التوفيق بين الدين والعلم. بل إنه كان يرى أن هذا التوفيق ضرورة تستوجبها طبيعة كل من الدين والعلم. فالحقائق العلمية لا تخالف الدين، والدين لا يخالف العلم.. والقرآن يجب أن يجل عن مخالفته للعلم الحقيقى، خصوصا فى الكليات، فإذا لم نر القرآن ما يوافق صريح العلم والكليات، خصوصا فى الكليات، اكتفينا بما جاء فيه من الأشارة، ورجعنا إلى التأويل وهكذا نرى أن الأفغانى يدعو إلى تأويل الدين أو تفسيره بما يطابق ضرورات العصر الحاضر وروح المدنية الحديثة.

ومن الجدير بالذكر أن بعض علماء المسلمين الرسميين من أمثال «حسن أفندى فهمى» فى تركيا، والشيخ «عليش» فى مصر قد اتهموا جمال الدين الأفغانى بخروجه عن الدين واتخذوا من دروسه سببا فى طعنه واحتجوا عليه بأنه كان يقرأ بعض الكتب الفسفية، معتمدين فى ذلك بتحريم البعض بالنظر فى هذه الكتب. وقد رد على هؤلاء تلميذه الشيخ: محمد عبده فى مقدمة رسالة الرد على الدهريين بقوله: إن الدين القوى لا ينفر من العقل، ولا يحقر من شأنه، ولا يحارب أهله.

وهو يقول فى كتابه «الرد على الدهريين» إن الدين «هو السبب فى سعادة الأنسان. فلو قام الدين على قواعد الأمر الألهى الحق، ولم يخاطه شىء من أباطيل من يزعمونه ولا يعرفونه، فلا ريب يكون سببا فى السعادة التامة، والنعيم الكامل. ويؤمن بأن الإسلام أقيم على أساس من الحكم المتين، ورفع بناؤه على ركن لسعادة البشر ركين».

ودعا الأفغانى إلى إنشاء الجامعة الإسلامية ولكن دعوته فشلت بعد خلع السلطان عبد الحميد التركى عام ١٩٠٨م. وعدم حماس الحكام العرب للفكرة، وظهور التيار الوطنى لكل دولة إسلامية بالإستقلال. وكان يهدف بفكرته هذه عن الجامعة الإسلامية إلى توحيد الأمة الإسلامية.

٥ - دعوته وفكره الفلسفى:

درس جمال الدين الأفغانى الدين الإسلامى وتعمق فيه، كما درس الفلسفة والتصوف والأدب، وأتم دراسة هذه العلوم على أكمل وجه حتى صار متمكنا من علمه وعلومه، ومن المعروف أن الأفغانى عاش فى عصر ازدهرت فيه الفلسفة والحكمة وخاصة فى مقاطعة خراسان «أفغانستان الآن»، وقد تأثر الأفغانى بعدد من الفلاسفة العظام أمثال ابن سينا، وجلال الدين الدوانى، والسهروردى وغيرهم والذين جمعوا بين الفلسفة وعلم الكلام والتصوف والأدب. كذلك تأثر الأفغانى بالفلسفة اليونانية وكان ما درسه وتعلمه يدور فى معظمه حول الأمور الأجتماعية والسياسية كما كانت المسائل الإجتماعية عنده مصدر أفكاره، لدرجة أنه كان يحاول أن يجعلها مقياسا للأمور الطبيعية وهذا ما فعله فى الرد

علـى الدهريين، حيث كان فـى رده عليهم يقول بالتناهى واللاتناهى، بالجوهـر والعرض، بالجزء الذى لا يتجزأ – كما كان يفعل أرسـطو – وكان فى هجومه على الدهريين يسـتعمل نفس السـلاح الذى استعملته المدرسة الحديثة، وهذا ما يعطيه صبغة النبوغ والعبقرية بدون شك. وقد صب الأفغانى كل غضبه على الدهريين والطبيعيين والملحدين.

لم يكن الأفغانى فيلسـوفا متعدد الجوانب مثل أفلاطون وأرسطو عند اليونان، أو الفارابى وابن سـينا مثلا عند المسلمين. ولكن آراؤه الفلسفية اقتصـرت على تفنيـد آراء الدهريـين والطبيعيـين والملحدين أصحاب المذهب المادى ولهذا كتب كتابه المعروف رسـالة فى الرد على الدهريين لكى يشـرح مذهبهم الذى أخذ فى الانتشـار فى بـلاد الهند بتحريض مـن الإنجليز حيث أرادوا هدم الإسـلام الذى يعنى فـى نظرهم وحدة المسـلمين ضد اسـتعمارهم، ولذلك أخذ الأنجليز يشجعون نشر الأفكار الألحاديـة فى ثوب العلم الحديث، وسـاعدوا بصفة خاصة على نشـر مذهب «دارون» وجعلوه أساسا لمذهب مادى الحادى يعرف بأسم المذهب الطبيعى، هذا المذهب يتلخص فى أن المادة هى كل شىء، وأنها قديمة، وأنـه يمكن تفسـير كل الظواهر فى الكون عن طريق الأسـباب المادية، كما أنه يمكن تفسـير الحياة والظواهر النفسـية والأجتماعية والأخلاقية بإرجاعها إلى عوامـل طبيعية أو قوانين طبيعية موجودة فى الكون وهى التى تسير الكون وما فيه، ويعنى ذلك إنكار وجود الله، كما يعنى القول بقدم العالم وعدم فنائه، أى إن العالم لا متناهى.

وفى رده على الدهريين «الطبيعيين» اسـتعرض الأفغانى نشأة المذهب الطبيعى منذ أقدم العصور والمراحل التى مر بها هذا المذهب خلال فترات

التاريخ القديم منها والحديث ابتداء من فلاسفة اليونان مرورا بفلاسفة الفرس وأشهرهم «مزدك» الذى نادى بالإلحاد والإباحية وقال إن الدين والأخلاق لا تنشر إن العدل، وانما يقرر الظلم ويحولناه إلى أمر مشروع ومرورا أيضا بالطبيعيين المسلمين والذين عرفوا بأسم: الباطنية والذين ظهروا فى مصر ثم ذاعت فلسفتهم فى سائر البلاد الإسلامية وخاصة فى ايران، وقد أقامت الباطنية تعاليمها على أمور ثلاثة هى:

* إثارة الشك فى القلوب حتى يتفكك عقد الإيمان.
* الأقبال على الشاك وهو فى حيرته ليمنونه بالهداية إلى اليقين.
* أوعزو إلى دعاتهم أن يلبسوا لرؤساء الدين الإسلامى لباس الخدعة وجعلوا من شروط الداعى أن يكون بارعا فى التشكيك، مقتدرا على أشراب القلوب مطالبة.

وانتهى الأفغانى فى رده على الدهريين بتفنيد آراء كل من «فولتير» و «روسو» واعتبرهما من دهريى العصر الحديث ثم رد أيضا على «دارون» فى نظريته التطورية واعتبره ملحدا ومنكرا لوجود الله.

وقد انتهى الأفغانى فى رسالته فى الرد على الدهريين إلى أن:

الدين والأخلاق خير ضمان ضد أسباب الشر وضروب الفساد التى تقضى على كل فرد، وأن الدين اكسب عقول البشر ثلاث عقائد وثلاث خصال:

* **العقيدة الأولى:** الإنسان كائن منفصل عن الطبيعة وهو أسمى من الحيوان.
* **العقيدة الثانية:** كل ذى دين أمته أشرف الأمم ومن لا دين له فهو فى ضلال.

* **العقيدة الثالثة:** إن الإنسان جاء إلى هذه الحياة الدنيا لكى يحصل على كمال يساعده فى الوصول إلى عالم أسمى من العالم الدنيوى، والأنتقال من دار ضيقة إلى دار فسيحة الساحات لا تنقضى سعادتها ولا تنتهى مدتها. وهذا يؤكد رأيه فى خلود الروح وسعادتها فى الآخرة.

أما الخصال الثلاثة فهى:-

الخصلة الأولى: هى فضيلة الحياء. وهى انبعاث داخلى فى النفس أقوى أثرا من أى قهر يوجبه المجتمع أو القانون. والأنسان الحر.. هو الذى لا يخجل، لأنه يخاف الناس أو النقد، وإنما لأن نفسه الحرة تعاف وترفض الرذيلة وتنفر منها.

الخصلة الثانية: هى الأمانة التى تعتبر أساسا للمعاملات والمبادلات.

الخصلة الثالثة: هى أن حاجات المرء لا تنقضى مع قصور جهده إلا بتعاونه مع الآخرين. وهذا هو السبب فى حاجة الأنسان الضرورية لكى يستعين بأقرانه من البشر حتى يستبدل بضعفه قوة، وتجفوه طمأنينة وأمنا. وهذا يبين رأيه فى أن الأنسان كائن اجتماعى بطبعه.

كذلك قاوم الأفغانى الفلسفة المادية لأنها تهدم الأخلاق وتشيع الرذيلة وتنكر وجود الله والبعث والحساب، وتطلق البهيمية من عقالها وتتخذ من الصراع الطبقى شعاراً لتحقيق الجنة الموعودة، وتجعل من الفرد آلة مسخرة لمنفعة الآخرين وليس غاية فى ذاته. وتلغى المشاعر الإنسانية فى المجتمع.

رأى الأفغانى فى دور العقل والأخلاق والسياسة:

أ – يؤمن بدور العقل فى الإنسان، فهو يعتبر العقل هادياً ومرشداً وقائداً ووسيلة فى الحكم على الأشياء كما أنه وسيلة للمعرفة.

ب – أما الأخلاق والسياسة فقد كان الغرض منها عند الأفغانى هو «الكمال» الذى يعنى الانكشاف الروحى أو التجلى الوجدانى والسمو بالغرائز وفى هذا يشبه الصوفية.

جـ – تدور دعوته السياسية حول إنهاض الأمة الإسلامية من ضعفها، وتنبيهها للقيام على شئونها حتى تلحق بالأمم العزيزة القوية، وبهذا يعود للإسلام شأنه وللدين الحنيف مجده.

ولقد كانت وسيلة الأفغانى فى تحقيق غايته ودعوته هى الثورة السياسية، وقد ظن أن هذه الوسيلة أسرع الطرق للوصول إلى ما يريده من تحرير الشعوب الإسلامية من نير الاستعمار فى أقرب وقت، حتى إذا ما تحررت هذه الشعوب واستعادت حريتها أمكنها أن تنظم شئون حياتها.

٦- أهداف الأفغانى:

يمكن القول أن الأفغانى كان له هدفان:

الأول دينى والثانى سياسى، فالهدف الدينى يتمثل فى جهوده إلى التوفيق بين الدين الإسلامى والعلم الحديث، أما هدفه السياسى فيتمثل فى تخليص الوطن الإسلامى من ظلم الاستعمار الأوربى والإحاطة بنظم الحكم الظالمة المستبدة، وتكوين الجامعة الإسلامية الكبرى والوحدة الشرقية العامة.

وقد تعرض جمال الدين الأفغانى فى حياته وبعد مماته لحملة ضارية من أعدائه وأعداء الإسلام سواء من المسلمين أو من المستعمرين الغربيين الجاحدين له ولدوره العظيم فى بعث بلاد الشرق من سباتها العميق.

إن حيـاة الأفغانى وتاريخه ونضاله شـاهد عليه، وكتابات تلاميذه عنـه خير دليل على قيمة الرجل وعلـو مكانته، بل إن كتابات بعض العلمـاء الغربيـين المنصفين والذين عايشـوا الأفغانى خير شـاهد على عظمته ونبله.

دعوته السياسية:

تـدور دعوته السياسـية حول أنهاض الأمة الإسـلامية من ضعفها. وتنبيهها للقيام على شـؤونها حتى تلحق بالأمم العزيزة والقوية. وبهذا يعود للإسلام شأنه وللدين الحنيف مجده.

وكان للأفغانـى قبل حضوره إلى مصر ماضى سياسـى، وكفاح مسـتمر لتحرير الشـعوب الإسلامية من سيطرة الاستعمار الغربى ومن سيطرة الملوك أو الخلفـاء المسـتبدين. وقد ظهرت دعوته السياسـية بوضوح فى مصر بعد أن سـاءت حالتها الداخليـة وانفتح المجال للتدخل الأوربى فى شـؤونها منـذ عام ١٨٧٥م حتـى وقع احتلال إنجلترا لمصر عـام ١٨٨٢م. وقد أخذ على عاتقه تنبيه الأذهان وإشـراك الطبقة المتعلمـة فى الحكم وحثهم على الكتابة السياسـية فى الصحف لكى يرشـدوا النواب إلى واجباتهم ويبصروا الشعب بحقائق الأمور. وقد نشر الأفغانى مقالاً فى جريدة مصر عن الحكومة الاستبدادية هاجم فيه الحكم المطلق وبين أنواع الحكومات الاستبدادية. كما ألقى الخطب السياسـية التى تبصر المصريين بحقوقهم، كما أنشـأ الحزب الوطنى الحر فى أوائل عام ١٨٧٩م ودخل فيه كثير من العلماء والنواب منهم الشيخ محمد عبده والسيد عبد الله النديم وحسن الشريعى وغيرهم.

ونظراً لموقفه السياسـى فـى مصر وتحريضه للمصريـين أمر الخديو توفيـق بالقبض على جمال الدين الأفغانى وترحيله إلى ميناء السـويس

حيث نقلته باخرة إلى بلاد الهند.وقد قامت الثورة العرابية وهو فى الهند فكان من أشد مؤيديها ويقول المؤرخ المصرى عبد الرحمن الرافعى فى كتابه «الثورة العرابية لاحتلال الإنجليزى» عن جمال الدين الأفغانى: «ولو أنه بقى فى مصر حين نشوب الثورة ولكان من الجائز أن يمدها بآرائه الحكيمة وتجاربه الرشيدة فلا يغلب عليها الخلل والشطط، ولكن شاءت الأقدار والدسائس الإنجليزية أن يبقى تأييده من خارج مصر وهى أحوج ما تكون إلى الانتفاع بحكمته وصدق نظره فى الأمور».

وقد كانت وسيلة الأفغانى فى تحقيق غايته ودعوته هى الثورة السياسية. وقد ظن أن هذه الوسيلة اسرع الطرق للوصول إلى ما يريده من تحرير الشعوب الإسلامية من الاستعمار فى اقرب وقت، حتى إذا ما تحررت هذه الشعوب واستعادت حريتها وأمكنها أن تنظم شؤون حياتها. ولذلك كان الأفغانى يرفض الإصلاح التدريجى بحجة انه بطئ الخطي. وفى هذا اختلف مع تلميذه الشيخ محمد عبده الذى كان يؤمن بالإصلاح الشامل التدريجى.

ويمكن القول بعد ذلك أن الأفغانى كان له هدفان: الأول دينى والثانى سياسى. فالهدف الدينى يتمثل فى جهوده إلى التوفيق بين الدين الإسلامى والعلم الحديث حتى يثبت قدرة الدين على التطور والتقدم ومسايرة العصر ومتطلباته، وبهذا يعود للدين الإسلامى وجهه الصحيح. أما هدفه السياسى فيتمثل فى تخليص الوطن الإسلامى من ظلم الاستعمار الأوربى والإحاطة بنظم الحكم الظالمة المستبدة، وتكوين الجامعة الإسلامية الكبرى والوحدة الشرقية العامة. وكانت وسيلته فى تحقيق ذلك هى الثورة السياسية.

وخلاصة القول.. أن جمال الدين الأفغانى قد أدى مهمته الدينية فى الإصلاح والتجديد وطلب من الأمم الإسلامية أن تفهم الإسلام على حقيقته وترجع إلى مبادئه الصحيحة ونظرته الأولى وتطهره من الأوهام والخرافات التى أدت إلى تأخر المسلمين وتخلفهم. ومن الناحية السياسية فقد أثار فى النفوس روح العزة والكرامة والتطلع إلى الحرية، وغرس بذور الحركات الوطنية فى مختلف البلاد الشرقية. وهو بذلك يكون قد قام بمثل ما قام به زعماء غربيون من أمثال.. واشنطون وماتزينى وغيرهما.

ومن الناحية الفلسفية والفكرية فقد أدى المهمة التى قام بها فى أوربا فلاسفة الفكر من أمثال روسو ومونتسيكو وغيرهما حيث عمل على إثارة البصائر وتوجيه الأفكار إلى البحث عن الحقائق، واتخاذ العقل وسيلة للمعرفة بعد تحريره من قيود التخلف والجهود والتقليد.

ذلك هو الأفغانى.. حكيم الشرق وباعث النهضة الشرقية وعنوانها فهل أدينا له حقه من الوفاء والتكريم ؟.

ولعل أهم ما يمكن أن يأخذ عليه هو أنه كان يرفض الأصلاح التدريجى بحجة أنه بطئ الخطا ويدعو إلى الأصلاح الشامل الثورى. فى حين كان تلميذه الشيخ محمد عبده يؤمن بالأصلاح الشامل التدريجى.

إن دعوة الأصلاح التى نادى بها الأفغانى منذ نهاية القرن التاسع عشر يتردد الآن صداها لكن تأتينا الدعوة من الخارج، وقد رفضناها وطالبنا بأن تكون دعوة الأصلاح من الداخل.

فهل يعيد التاريخ نفسه ؟! ولكن ليس الآن على يد الأفغانى ولكن نريدها نحن على أيدينا ونابعة من دينينا وثقافتنا وحضارتنا العربية والإسلامية.